Abdulaziz bin Fadil Bouchair & Mohammed Salem Alshighaybi, "An Epistemological Approach to the Subject of Occidentalism" *Afkar* Vol. 27 No. 1 (2025): 457-502

المقاربة الإبستيمولوجية لموضوع علم الاستغراب

AN EPISTEMOLOGICAL APPROACH TO THE SUBJECT OF OCCIDENTALISM

***Abdulaziz bin Fadil Bouchair*[*1], *Mohammed Salem Alshighaybi*[**]**

[*]Department of Creed and Contemporary Doctrines. College of Sharia and Fundamentals of Religion. King Khalid University. Abha. Saudi Arabia.

[**]Center for Humanities and Philosophical Studies. King Khalid University. Abha. Saudi Arabia.

Corresponding author:
[1]abouchair@kku.edu.sa

DOI:
https://doi.org/10.22452/afkar.vol27no2.14

Abstract

This study examines the epistemological foundations and methodological conditions for establishing Occidentalism as a systematic scientific discipline, with the West as its primary subject of research. Focusing on contemporary Islamic thought, it addresses how the Islamic mind can critically engage with Orientalist discourse and construct knowledge about the West. Using analytical, inductive, and critical methods, the study identifies the need to move Occidentalism from mere accumulation of knowledge to a structured science guided by a clear epistemological vision. Key recommendations include distinguishing between the study of the West and the science of Occidentalism, defining its subject and scope, overcoming epistemological obstacles, and integrating insights from both Western and Islamic scholarship to organize and classify its topics systematically.

Keywords: Occidentalism; Epistemology; Orientalism; The West; Epistemological and methodological conditions.

Article History: Acceptance date: 20 Dec 2025 Available Online: 31 Dec 2025

Funding: This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial or not-for-profit sectors.

Competing interest: The author(s) have declared that no competing interest exist.

©The authors (2025). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY NC) (http://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/) which permits non-commercial reuse, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited.

Khulasah

Kajian ini meneliti asas epistemologi dan syarat metodologi bagi mewujudkan ilmu Oksidentalisme sebagai disiplin saintifik yang sistematik, dengan Barat sebagai subjek utama penyelidikan. Fokus kajian adalah pada pemikiran Islam kontemporari, khususnya bagaimana pemikiran Islam dapat berinteraksi secara kritis dengan wacana Orientalisme dan membina pengetahuan tentang Barat. Menggunakan kaedah analitik, induktif, dan kritikal, kajian ini menekankan keperluan untuk mengalihkan Occidentalism daripada sekadar pengumpulan pengetahuan kepada sains yang tersusun dan berpandukan visi epistemologi yang jelas. Antara cadangan utama termasuk membezakan antara kajian Barat dan ilmu Oksidentalism, mentakrifkan subjek dan skopnya, mengatasi halangan epistemologi, serta mengintegrasikan pandangan daripada tradisi Barat dan Islam untuk menyusun dan mengklasifikasikan topiknya secara sistematik.

Kata kunci: Oksidentalisme; Epistemologi; Orientalisme; Barat; Syarat-syarat epistemologi dan metodologi.

المقدمة

يرتبط تأسيس علم الاستغراب بحقل معرفي من حقول العلوم المعاصرة في تراثنا الإسلامي أولا، وبالتراث العلمي العالمي ثانيا، ذلك أنه يرتبط بشكل أو بآخر بجملة من المفاهيم والمصطلحات والمناهج والقضايا والمشكلات المتولّدة عن هذا الحقل المعرفي الجديد، فهو يؤسّسُ لدائرة علمية جديدة على المستوى الإبستيمولوجي وهي كيفيةُ بناء وتأسيس هذا العلم، ويدرس ظاهرة من الظواهر الحضارية المعاصرة وهي ظاهرة الغرب والعالم الغربي بصفة عامة باعتباره موضوعاً ومجالاً لهذا العلم

المسمّى علم الاستغراب، لأنّ الغرب يعدُ مركزاً مهمّاً ومهيمناً على العالم ومتحكّما في معظم أطرافه وحاضرا ونافذا في مختلف مجالاته وأطرافه.

في هذا الإطار ينشأ علم الاستغراب ضمن بنية العلم الإسلامي المعاصر ورؤيته للعالم ونظريّته في الوجود والمعرفة والقيم، ينطلق من أسسه المعرفيّة ويرتكز على خلفيّاته الدينيّة ومسلّماته الفكرية، ويتموقع ضمن سياقه التاريخي والحضاري الذي يقتضي ضرورة تأسيس هذا العلم وإنضاج موضوعه وتحديد منهجه وبلورة غايته، ضمن الرؤية الحضارية للمسلمين التي تعدُّ منهجية التعامل مع الغرب فكراً وحضارةً وواقعاً، في صوره المختلفة ومكوّناته المتنوّعة إحدى دوائرها الكبرى، بانخراط الباحثين والمفكّرين في الفكر الإسلامي المعاصر وعلومه في مسألة "نحن والغرب" أو "نحن وعلوم الغرب" أو "نحن وحضارة الغرب" التي يسمّيها البعض بجدلية "الأنا" و"الآخر"، وما يتطلّبه البحث في موضوعات بناء الوعي المنهجي والفكري للإنسان المسلم المعاصر، بما يؤهّله للولوج إلى حلقة دراسة الغرب ودائرة تأسيس العلم به في ما يطلق عليه بعلم الاستغراب. غير أنّ تأسيسه هذا يرتبط مفاهيميا ومنهجيا وإجرائيا بعلوم أخرى ويتداخل معها؛ كعلم التاريخ و علم الأنثرويولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلوم اللغة ولسانياتها، وعلم السياسة وعلم الجغرافيا وعلم الأديان ومقارنتها، وفلسفة الحضارة وتاريخها، والابستيمولوجيا

ومباحثها، والدراسات الحضاريّة واستراتيجياتها، وعلوم التعامل مع الغرب ومناهجها.

يهدف تأسيس علم الاستغراب للوقوف على أصول الغرب ومصادره الأصلية، وتحليل خلفياته المعرفيّة وما قدّمه من منظومة علميّة، ولذلك يتوجب علينا وضع الغرب ضمن النسق المعرفي والمؤسّسي العام للحضارة الغربية[1] من جهة، والنسق المعرفي والمؤسّسي العام للحضارة والفكر الإسلامي المعاصر من جهة أخرى. فلن يُؤتي هذا العلم ثماره المرجوة من تأسيسه إلاّ بعد تحديد موقعه من دائرة العلم والفكر الإسلامي المعاصرين، فلا نقلّل مما وصل إلي هذا العلم ولا نعظّم منجزاته، بل يجب علينا أن نضعه في موضعه وحجمه الصحيح، بحيث أننا لا نهمّش الثقافات الإنسانية الأخرى، بنماذجها المعرفية المنفصلة عن الوعي الغربي وأنماطه في التفكير ونماذجه في التدبير، وبالتالي لن يكون الاستغراب الذي نروم تأسيسه ذا وجهة معادية للغرب ومصادمة له، كما يريده البعض، ولا نَدخل في مواجهة حضارية معه، مثلما فعل معنا الغرب ومستشرقوه، حين نسق علماء الاستشراق وتعاونوا مع الدوائر السياسية والعسكرية والدينية الغربية، بل يكون علم الاستغراب منطلقاً ومقصداً للتفاعل الإيجابي مع الغرب، والتعامل البراغماتي الذكي مع ثقافته وعلومه، والاستفادة

[1] Mercho, Grégoire Mansour, *Muqaddimat al-Istitba': al-Sharq Mawjud bi-Ghayrihi la bi-Dhatihi* (Virginia, Washington: al-Ma'had al-'Alami li al-Fikr al-Islami, 1996), 15.

المبصرة مما لديه من مكاسب، والاستغلال المنضبط لمنجزاته المادية والفكرية، وفق رؤية معرفية أصيلة، قائمة على مناهج علمية متوازنة، محكومة بقواعد سلوكية وقيمية نابعة من رؤيتنا الحضارية للعالم ومنسجمة مع مرجعيتنا الفكرية.

أولا: الإشكالية والتساؤلات الفرعية: يندرج البحث ضمن البحوث التي تجيب عن سؤال الماهية، بما هو يسعى إلى ضبط موضوع علم الاستغراب وتحديد مجال الدراسة فيه، ولهذا يتحدّد السؤال المركزي لهذا البحث في الآتي: ما هي المقاربة الابستيمولوجية لموضوع علم الاستغراب؟

وتتفرع عن السؤال المركزي التساؤلات الفرعية الآتية: ما هو الحيّز الجغرافي والتاريخي للغرب؟ ما طبيعة المنظومة المعرفية والثقافية للغرب؟ كيف يشكّل الغرب منظورية قيمية؟ ما هي آليات بناء الغرب لحضارته ومنجزاته؟ ما هي الخصائص الحضارية للغرب؟

ثانيا: أهمية الموضوع: تكمن أهمية البحث في كونه يعالج مسألة علمية وابستيمولوجية راهنة في الفكر الإسلامي المعاصر، تتعلّق بالشروط المعرفية والمنهجية لتأسيس علم الاستغراب من جهة الخطاب الذي نشكّله حول هذا العلم، وبدراسة الغرب وحضارته باعتباره موضوعا ومجالا معرفيا لهذا العلم كذلك، ما يعطي لموضوع البحث أهمية معرفية وقيمة منهجية في آن واحد، تسمح للعقل الإسلامي المعاصر بالانخراط المباشر في عملية التفكير العلمي والنقدي في

موضوع علم الاستغراب ومسوّغات وأهداف تأسيسه، لأنّ الاشتغال على هذا الموضوع يمكّن الفكر الإسلامي المعاصر من تحديد كيفيات التفاعل مع الغرب والتعامل الإيجابي مع منجزاته والاستفادة المبصرة من تراثه ومناهجه وعلومه وفلسفاته، ما يجعل دراستنا لهذا الموضوع ومنهجيته ضرورة معرفية وحضارية.

ثالثا: أهداف الموضوع: نهدف في بحثنا هذا تحقيق الهدف العام المتمثّل في ضبط وتحديد موضوع علم الاستغراب ومجالات اشتغاله من خلال الأهداف الفرعية الآتية: التعرّف على موضوع الغرب باعتباره حيزاً جغرافياً ومساراً تاريخياً. وعرض المنظومة المعرفية والثقافية للغرب. وبسط المنظورية القيمية لتشكيل الغرب. وذلك للوعي بآليات البناء الحضاري للغرب وتحليل منجزاته ثم بيان الخصائص الحضارية للغرب.

رابعا: الدراسات السابقة: هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع علم الاستغراب في تراثنا الفكري والعلمي الحديث والمعاصر، تراوحت بين كتابات حول الغرب ودراسات أكاديمية وأطروحات جامعية، وبعضها الآخر جاء في شكل أبحاث ومقالات نشرت في دوريات علمية محكّمة، وجاء البعض الآخر في شكل ندوات ومؤتمرات علمية مختلفة. وهذه الدراسات والأبحاث والأطروحات على أهميتها من جهة، وتقاطعها مع موضوع بحثنا من جهة أخرى، لكنها لم تتحدث عن موضوع علم الاستغراب بشكل

محدّد ضمن إطار إبستيمولوجي يسعى لتأسيس هذا العلم في تراثنا الفكري المعاصر، لأنها انطلقت مباشرة في البحث والكتابة حول الغرب وتاريخه وأصوله وعلومه وثقافاته وفلسفاته وفنونه وآدابه، بل وصراعاته وحروبه الصليبية مع العالم الإسلامي، وأحيانا أخرى، من منطلق البحث في تأثّر الغرب بالحضارة الإسلامية وما نهله من علوم المسلمين ومناهجهم، قبل أن تؤسّس مثل هذه الأبحاث لابستيمولوجيا هذا علم وتحدّد موضوعه وتضبط مسلّماته وفرضياته، ولم تنضج لديها فكرة المناهج التي تسمح لنا بدراسة الغرب، خصوصا وأنّ العقل الإسلامي مر في تاريخه بمرحلة ضعف وانسحاب من معترك الصراع الثقافي والفكري مع الآخر، كان فيها منفعلاً، متأثراً، ومقلّداً للغرب، ولم يكن فاعلاً ولا مؤثراً ولا مبدعاً لفترة غير قصيرة من الزمن، ثم إنّ ما كتُب حول الغرب في تراثنا وتاريخنا العلمي لم يُسمّى بشكل مباشر وصريح بعلم الاستغراب، ولم يحصل الاتفاق بين أصحابه على الغايات الكبرى المعرفية والمنهجية والحضارية لهذا العلم، ولم تتبلور لدينا بصورة واضحة منهجيات التعامل مع الغرب ومنجزاته، ولهذا نرى بأنّ ما كُتب حول الغرب وعلم الاستغراب لا يوّفر الشروط المعرفية والمنهجية له، بل إنّ من يريد أن يكتب حول الغرب علماً وموضوعاً ومنهجاً وغايةً لابد أن يكون الإطار الإبستيمولوجي واضحا لديه، يفرّق فيه بين الاستغراب وعلم الاستغراب.

ومن الدراسات السابقة التي كتبت في موضوع علم الاستغراب وبحثت في تاريخ نشأته وتطوره في تراثنا الإسلامي ما يلي: بالإضافة إلى ما كتبه حسن حنفي(ت2021م) حول ما أسماه "مقدمة في علم الاستغراب" في إطار بناء مشروعه الفكري بأقسامه الثلاثة: الموقف من الأنا أو التراث، الموقف من الآخر أو من التراث الغربي، الموقف من الواقع. حيث استهل كتابه بالإجابة عن سؤال: ما ذا يعني علم "الاستغراب"؟ عرض فيه مشروعه وجبهاته الثلاثة. عرض من خلاله مفهوم علم الاستغراب في مقابل الاستشراق، وبيّن كيف تحوّل الأنا من موضوع للدراسة إلى ذات دارس، وتحوّل الآخر من ذات دارس إلى موضوع مدروس، وبالتالي يكون علم الاستغراب رد فعل على المركزية الأوروبية من جهة، وتحوّل المركز إلى هامش، والأطراف إلى مركز. وفي الفصول السبعة الأخرى من الدراسة بسط حسن حنفي بالتحليل والعرض والنقد ما سماه بـ"تكوين الوعي الأوروبي"، ثم "بنية الوعي الأوروبي" وانتهاء بـ" مصير الوعي الأوروبي". والكتاب بهذا يشكل إطار نظريا فلسفيا لتأسيس ما يسمى بعلم الاستغراب، رسم فيه حنفي مفاصل ومحاور هذا العلم، وبين مساره التاريخي والفلسفي الذي يمكننا الاستناد إليه في إنضاج معالم هذا العلم من خلال البداء بتحديد موضوعه تحديدا يميزه عن باقي منظومة العلوم في الثقافة الإسلامية المعاصرة.

أما الدراسة الثانية فقد جاءت في شكل بحث قام به الباحث "محمد عبد الحليم بيشي": "الجذور التاريخية لعلم الاستغراب في التراث الإسلامي[2]"، الذي تلخّصت إشكاليته في البحث والحفر عن جذور علم الاستغراب قديما ووسيطا، تساءل فيه هل افتتح العالم العربي فعلا هذا العلم من قبل؟ أم أن الأمر جديد مع تحدي الاستشراق؟ وقد هدف البحث في عمومه إلى تحقيق ما يلي:

– الكشف عن التصورات الإسلامية الأولى للغرب ومذاهبه وتياراته، قبل الولوج للكشف عن الغرب المعاصر.

– إمداد المشتغلين بالاستغراب بمواد معرفية تاريخية عن التصورات الاسلامية الأولى للغرب القديم، لتكون هذه المعارف منطلقا لتأسيس خلفية معرفية ناظمة لتطوير هذا العلم.

وقد خلص الباحث في بحثه إلى النتائج الآتية: أنّ المسلمين الأوائل حاولوا رسم صورة مقاربة عن المخالف لهم في الدين أي الغرب بصفة عامة، كما أنّ علم الاستغراب له جذور في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ثم أنّ الهدف العلمي والتجاري لم يغب عن أعمال الرحالة والجغرافيين والمهتمين بالأجناس والآداب والأديان.

ورغم ما لهذه الدراسة من أهمية معرفية وتاريخية في البحث عن جذور علم الاستغراب في تراثنا الإسلامي، غير أنها اقتصرت على

[2] Bechii, Mohamed Abdel-Halim, "Al-Juthur al-Tarikhiyyah li-'Ilm al-Istighrab fi al-Turath al-Islami," *Majallat Kulliyat al-Shari'ah wa al-Dirasat al-Islamiyyah* 37(2) (2020), 135.

أعمال الرحالة والجغرافيين والمهتمين بالآداب والأديان الأخرى، ولم يتم التركيز على موضوع علم الاستغراب من خلال الإطار الابستيمولوجي والمنهجي الذي يجيب عن الأسئلة الخمس الآتية: ماذا يدرس علم الاستغراب؟ ويتعلق الأمر بضبط الموضوع وحدوده. لماذا ندرس علم الاستغراب؟ ويتعلق الأمر بالأهداف والغايات. كيف ندرس الغرب؟ ويتعلق الأمر بالمناهج والطرائق التي يتم من خلالها دراسة الغرب، ومن ثمة تأسيس علم الاستغراب. وهذا ما سعينا إلى تحقيقه من خلال هذا البحث، كمحاولة منهجية في تأسيس علم الاستغراب، ما يجعل الموضوع المطروح هنا أقرب للحديث عن فلسفة العلم بما هي خطاب حول العلم وشروطه المعرفية والمنهجية والمنطقية أكثر من حديثه في علم الاستغراب ومباحثه وجزئياته وتفصيلاته ومسائله.

أما الدراسة الثالثة فكانت للباحث "عبد المجيد بن محمد الوعلان" الموسومة بـ "الاستغراب"،[3] إذ اشتمل البحث على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. جاء الفصل الأول بعنوان: تعريف علم الاستغراب ونشأته، أما الفصل الثاني فقد تناول فيه الباحث أهمية علم الاستغراب، وفي الفصل الثالث تطرّق إلى الموقف الصحيح من علم الاستغراب، والفصل الرابع تناول ضوابط دراسة علم الاستغراب، أما الفصل الخامس والأخير فتناول نماذج من علم الاستغراب. وخلص الباحث إلى جملة من النتائج ركز فيها على حرص الغرب على ممارسة

[3] Al-Wa'alan, 'Abd al-Majid bin Muhammad, *al-Istighrab*, al-Maktabah al-Shamilah, https://shamela.ws/book/63/3.

النقد الذاتي لحضاراته، ثم أشار إلى حاجة العالم إلى هداية الإسلام للبشرية، وهي نتائج عامة برأينا، لم تركّز على الشروط المعرفية والمنهجية لضبط موضوع علم الاستغراب، وهذا ما نحاول عرضه في بحثنا هذا.

خامسا: منهج البحث: اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المناهج بحسب طبيعة الموضوع والسياق الذي يرد فيه من أفكار وتصورات ورؤى، توسّلنا في دراستنا بالمنهج التحليلي؛ عمدنا فيه إلى تحليل مختلف الرؤى والأفكار التي كُتبت حول تأسيس علم الاستغراب في تراثنا الفكري والعلمي والمعاصر من جهة، وحول ما كُتب عن الغرب وحضارته من جهة ثانية. وكان من الضروري استخدام المنهج الاستقرائي؛ قُمنا باستقراء بعض النصوص والأفكار وتتبع سياقاتها المعرفية وظروفها التاريخية والاطلاع على كل أو بعض ما يتعلّق بمنهجية تأسيس علم الاستغراب، وما كُتب حول الغرب وثقافته وعلومه ومنهجياته .وقد كان دافعنا الأول للخوض في مثل هذه الدراسات القراءة النقدية الواعية والهادفة للكتابات الأولى في علم الاستغراب متوسّلين في ذلك بأدوات المنهج النقدي، للوعي بمواطن القصور ومكامن الخلل في تراث الغرب وحضارته، من خلال القراءة التقييمية لمرجعياته الفكرية ومصادره المعرفية والدينية ومناهجه البحثية وأدواته ومجالاته وعلومه وفلسفاته، وقيمه وممارساته ومنجزاته.

سادسا: تقسيمات البحث: جاء بحثنا هذا في مقدّمة خمسة عناصر وخاتمة، تناولنا في العنصر الأول الغرب بوصفه حيزاً جغرافيا

ومسـارا تاريخيا، بمعنى الغرب في سـياق المكان والزمان. وفي العنصـر الثاني تحدّثنا عن الغرب بوصـفه منظومة معرفية وثقافية نعني بذلك: الغرب معرفة وثقافة. أما في العنصـر الثالث فقد خصـصـناه للغرب بوصـفه منظوراً قيمياً أو الغرب ومنظومة القيم. وفي العنصر الرابع قمنا بتحليل الغرب بوصـفه منجزا ماديا وحضـاريا أو الغرب كمنجز وحضـارة. وانتهاء بالعنصـر الخامس والأخير ركّزنا فيه على الغرب بوصـفه خصـائص حضـارية أو الغرب وخصـائصـه. وانتهينا إلى عرض جملة من النتائج التي أفرزتها عملية البحث ومعالجة مباحثه.

1. الغرب بوصفه حيزا جغرافيا ومسارا وتاريخياً (الغرب في سياق المكان والزمان):

السؤال المركزي الذي نواجهه عند الحديث عن تأسيس علم الاستغراب هو: ما مفهوم الغرب؟[4]وما هو موضـوع علم الاسـتغراب؟ وما الذي يدرسـه عالم الاسـتغراب في الغرب؟ وهل يقصـد به العالم الغربي؟ هل يـدلّ الغرب على معنى واحـد أم أننـا نقف على اختلافٍ في معـانيـه وتعدّدٍ في مبانيه؟ وكيف نميز في دراستنا للغرب بين الجانب الجغرافي أو المكاني والجانب التاريخي أو الزماني؟ وما هي حدود الفصـل والوصـل بين الجانبين؟ وما هي محددات كل جانب؟ وكيف ينعكس كل جانب منهما على تحديد مفهومه ومجال دراسته؟

[4] Nemo, Philippe, *Qu' est- ce que L'Occident?* (Paris: Presses Universitaire de France, 2004), 7.

أول هذه الزوايا، هي الجانب الجغرافي أو المكاني: فاختلاف مفاهيم الغرب ناجم عن اختلاف وتعدّدٌ السياقات الزمنيّة والتاريخيّة وتباين الفضاءات الجغرافية التي تشكَّل فيها؛ مثل السياق الذي تشكّل فيه الغرب كأوروبا، فهو سابق عن السياق الذي تشكّل فيه الغرب كأمريكا، وسياق تشكّل أوروبا الشرقية كغرب أدنى يختلف عن سياق تشكّل أوروبا الغربية كغرب أوسط، يختلف كذلك عن سياق وظروف تشكُّل أمريكا الشمالية والجنوبية كغرب أقصى، والأمر ينطبق على باقي أجزاء الغرب ومكوّناته الجغرافية، "وهذا ما يؤكّد دائما أنّ الغرب ليس غرباً واحداً، بل هو غرب وثانٍ وثالثٍ(...)على أنّ من الغربيين من يفرّق "عقائدياً" بين أوروبا والغرب وبين أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى.."[5] فهذا التنوع في الغرب قائم جغرافيا على الأقل، فالمنطقة التي يطلق عليها الغرب هل تقف عند حدود أوروبا وأمريكا أم تمتد إلى جزء من آسيا واستراليا؟ وكيف نفسّر التفاوت الحاصل في مستوى حالاته الاجتماعية؟ وما هذا التباين الواضح في بعض نظمه السياسيّة والاجتماعية والاقتصادية؟ ألم تَّشر الدراسات السيكولوجية والأنثروبولوجية إلى تمايز الذهنيّة الأوروبيّة عن الذهنيّة الأمريكيّة؟ وما الذي يجعل من الغرب واحدا أمام التنوعّ السالف الذكر؟ وكيف

[5] Al-Namla, 'Ali bin Ibrahim, *Ishkaliyyat al-Mustalah fi al-Fikr al-'Arabi: Ittirab fi al-Naql al-Mu'asir li al-Mafahim* (Beirut: Bissan Publishing Media and Distribution, 2010), 95.

نسمح لأنفسنا بأن ننظر إلى الغرب ككتلة واحدة وموحّدة منسجمة ومتناغمة في البنية والمفهوم والواقع؟

نقف في التأسيس الإبستيمولوجي لعلم الاستغراب عند هذه الجزئية المتعلّقة بموضوع الغرب ومفهومه، فالتعريف الأساسي لما يشكّل" الشكل" متنوعّ ومتعدّد على الأقل من الناحية الظاهرية، وهو موضوع ومفهوم يتوسّع ويتقلّص مع الزمن وفقا للظروف التاريخية ومعطياتها المختلفة. يقتضي منا المقام هنا، ونحن بصدد الحديث عن الإطار الابستيمولوجي لتأسيس علم الاستغراب إعادة طرح التساؤلات الآتية: في أي سياق تاريخي ومعرفي نؤسّس علم الاستغراب؟ وما هي الشروط المنهجية والمعرفية لتأسيس علم الاستغراب؟ وهل نملك الإمكانات العلمية والذهنية والبحثية المتاحة لتأسيس علم الاستغراب؟ وما هي آفاق تأسيسه؟

ولهذا نرى بأنّ من يريد دراسة الغرب في صورته المركّبة وطبيعته المعقّدة، لا يقف عند حدود الغرب الجغرافي أو الغرب الثقافي أو الغرب الحضاري كما يصنّفه بعض الباحثين المعاصرين[6] بل عليه أن يدرسه بوصفه: يبدأ من التساؤل الذي يتبادر إلى أذهاننا وهو: ما هي حدود الغرب وما هو حيّزه الجغرافي؟ وما هي امتداداته الجغرافية

[6] Al-Milani, Hashem, "Muqaddimat Ta'sisiyyah fi Ilm al-Istighrab," in *Nahnu wa al-Gharb (1): Muqarabat fi al-Khitab al-Naqdi al-Islami*, ed. Amer Abdel-Zeid al-Waeli, and Hashem al-Milani (Iraq: Al-'Atabah al-'Abbasiyyah al-Muqaddasah, Center for Strategic Studies, 2017), 15.

والفكرية والاستراتيجية؟ هل يتوقّف الغرب عند القارة الأوروبية؟ هل ينحصر في أوروبا الغربية فقط؟ أم يمتد ليشمل أوروبا وأمريكا؟ وما موقع أستراليا من حيّزه؟ وما موقع بعض الدول المنتمية لدائرة الغرب فكريا وسياسيًا واقتصادياً كاليابان مثلا؟ فالدراسات الدينية والحضارية لتاريخ الغرب تشير إلى أنّ مفهوم الجزء الغربي من كوكب الأرض له جذوره في التقسيم اللاهوتي والمنهجي والتمييزي بين الكنيسة الغربية الرومانية الكاثوليكية والشرقية الأرثوذوكسية، فقد كان الغرب في الأصل حرفياً، يعني أوروبا الكاثوليكية مقابل ثقافات وحضارات أوروبا الأرثوذوكسية، والشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إفريقيا جنوب الصحراء، وجنوب آسيا، والشرق الأقصى النائي الذي رآه الأوروبيون الأوائل حديثا باسم الشرق، لكن بحلول منتصف القرن العشرين، مرّ تصدير الثقافة الغربية على مستوى العالم من خلال وسائل الإعلام الجديدة مثل الأفلام والإذاعة والتلفزيون والموسيقى المسجّلة، في حين لعب تطوّر ونمو النقل الدولي والاتصالات السلكية واللاسلكية دورا حاسما في العولمة الحديثة وكرّس في الواقع ما يسمّى بالغرب.

وفي مقاربة أخرى، تذهب إلى أنّه في الاستخدام الحديث يشير الغرب أحيانا إلى أوروبّا وإلى المناطق التي ينحدر سكانها بشكل كبير من أوروبا، من خلال عصر الاكتشاف. بينما يعود مفهوم العالم الغربي في جذوره الثقافيّة إلى الحضارة اليونانيّة أو الإغريقية بما اشتملت عليه من نظريات ورؤى في الاقتصاد والسياسة والقانون والأخلاق

والاجتماع والفلسفة والحروب الخ...[7] ويمتد إلى الجذور الرومانية التي استقى منها النزعة الفردية والنزعة الإنسانية، والنزعة العقلانية النقدية في أوروبا وظهور المسيحية والانشقاق الكبير في القرن الحادي عشر الذي قسّم الدين إلى شطرين شرقي وغربي.[8] والنتيجة هي أنّ الغرب مركز وهامش، تشكّل أوروبا مركزه وتاريخه الأصلي، وتشكل أمريكا وأستراليا واليابان وكندا هامشه، رغم التحوّل الذي ظل يعرفه الغرب، وانتقال موازين القوى فيه من أوروبا إلى أمريكا.

أما ثاني الزوايا: فتتمثل في الجانب التاريخي أو الزمني، بمعنى؛ الغرب في سياق الزمن: أو ما نسمّيه الغرب في السياق التاريخي على نهر الزمن ومجراه في الدراسة التي قام بها فيليب نيمو في كتابه: ما ذا نعني بالغرب؟[9]، نتساءل هنا: كيف نشأ الغرب في التاريخ الحديث والمعاصر؟ وكيف كانت بدايته الأولى في التشكّل والظهور كفاعل مؤثّر في التاريخ الحديث بعدما كان منفعلاً وضعيفاً لمدة طويلة من الزمن؟ في الفترة التي كانت الحضارة الإسلامية هي الشاهدة على الأمم والشعوب والحضارات الأخرى؟ وبالتالي فنحن ملزمون بدراسة فلسفة الغرب في التاريخ؟ وبمعنى آخر؛ فلسفة التاريخ في الغرب، وكيف

[7] See, Group of Researchers, *Naqd al-Hadarah al-Gharbiyah (Tarikh al-Ighriq Qabl al-Qarn al-Tasi' Q.M.)* (Najaf, Iraq: Al-Atabah al-'Abbasiyyah al-Moqadassah, Center for Strategic Studies, 2021).

[8] See, Hanafi, Hassan, *Tatwir al-Fikr al-Dini al-Gharbi fi al-Usul wa al-Tatbiqat* (Beirut: al-Hadi Publishing, 2004); Tarnas, Richard, *The Passion of the Western Mind: Understanding the Ideas that Have Shaped Our World View* (USA, Ballantine Books, 1991), 13-68.

[9] See, Nemo, Philippe, *Qu' est- ce que L'Occident?*, 7.

اســـتطاع أن ينخرط في التاريخ الحديث وأن يحوّل الزمن من بعده الفيزيائي إلى بعده البشـــري والحضـــاري؟ ويجعل منه عاملاً من عوامل النهوض والبناء الحضـــاري؟ وما هي النّظريات الفلســـفيّة الكبرى التي وجّهت حركته في التاريخ وصـــنعت قوته المادية، ورفعت إمكاناته ومؤهّلاته النظريّة وقدراته العمليّة زمننا الراهن؟ وهذا يحيلنا إلى دراســـة وفهم المنطق الذي حكم تطورّه وســـيْره في التاريخ؟ خصـــوصـــا بعد الثورات الفلسـفية التي جاء بها رينيه ديكارت(ت1650) وفرانسـيس بيكون(ت1626) في القرن السابع عشر، وما ترتّب عنهما من تغيير في البنية الذهنية للإنسـان الغربي، إذ شـكّلت هذه المرحلة نقطة تحوّل كبرى في المسـار الحضـاري للغرب، تبعتها ثورات معرفية وعلمية هامة في أوروبا وأمريكا خصـوصـا ما تعلّق منها بالنظرية السـياسـيّة وأنظمة الحكم والإدارة والتشريع والقيادة، وانعكاسات تلك الثورات على واقع المجتمع الغربي. هذه الثورات المعرفية والعلمية جعلت الزمن والتاريخ في صـالح الغرب ووجهته، وهو الذي اسـتطاع أن يوظّفهما لصـالحه، وقد دعّمت هذا التوجّه كبرى النظريات الفلســـفيّة في فلســـفة التاريخ والحضارة التي كتبها فيكو(ت1744م)، والأثر الذي تركه في عدد من الاتجاهات المتميّزة في فلسفة التاريخ والاجتماع.[10] وما قدّمه غوستاف لوبون (ت1931) تحت مســـمّى العناصـــر الموجِدة للتاريخ، والذي تناول فيه قوى الأجداد والخلق والذكاء والمعتقدات الوجدية والعادات

[10] Abu Sa'ud, 'Attiyat, *Falsafat al-Tarikh 'ind Fiko* (United Kingdom: Mu'assasat Hinawi, 2021), 175.

والأخلاق والتربية والنظم السياسيّة، أين حذّر من العناصر التي تنحل بها حياة الأمم، والتي حدّدها في زوال المعتقدات والأوهام السياسيّة واصطراع المبادئ الحديثة في المساواة وزيادة التفاوت في الذكاء.[11] أو في ما كتبه الفيلسوف هيجل(ت1831م) عن فلسفة التاريخ التي ضمّنها محاضراته التي ألقاها على طلبته بجامعة برلين عام 1718م وبيّن في جزء منها بنظرة عرقية متحيّزة بقوة للغرب وحضارته مسار التاريخ البشري ككل[12]مع العلم بأنّ هذه الفلسفات في فلسفة التاريخ وفلسفة الحضارة والفلسفة السياسية وأنظمتها وغيرها ارتبطت بالعلوم الإنسانية والاجتماعية كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم الأخلاق، وساهمت عبر مراحل تشكّلها في رسم معالم المجتمع وملامح الإنسان الغربي، وكيف لعبت الفلسفة دورا هاما في تطوير التفكير الأوروبي أو إن شئت التفكير الغربي، وما تلا ذلك من تطوّر في أغلب مجالات الحياة الإنسانية.[13]

لقد بثّت هذه العلوم بمبادئها ومفاهيمها وأفكارها ونظرياتها ومنهجياتها في الإنسان والمجتمع الغربيين روح التحدّي والنمو، وغرست فيهما تقديس العمل ربّتهما على منطق الفعل والإنتاج،

[11] Le Bon, Gustave, *La Philosophie de l'Histoire* (Paris: Les Éditions de France, 1931), 195-210.

[12] Hegel, Frederick, "Reason in History," in *Lectures on the Philosophy of World History*, trans. Emam Abdel Fattah Emam (Beirut, Lebanon: Dar al-Tanweer, 2007), 1: 30-31.

[13] Randall, John Herman, *The Making of the Modern Mind: A Survey of the Intellectual Background of the Present Age* (USA: Columbia University Press, 1976), 2: 111-172.

فتغيّرت حياة الغربيين وتحسّنت أوضاعهم وتحقّقت الكثير من أحلامهم، وكانت المُثُل السائدة في هذه المرحلة هي التنمية، النمو، التطوّر، التقدّم، التغيير، البناء، الحرية، الفعل، الحركة، النشاط، الفعالية، الصناعة، الديمقراطية، القومية...الخ، وجُعل من مفهوم العالم كنمو وتطوّر وصيرورة، وانتشرت قيم الحياة الإنسانية، الشخصية المتكاملة، الطبيعة البشرية، التشريع والعلوم السياسيّة، الاقتصاد الواقعي، الأنثروبولوجيا، تعميم العلوم الاجتماعية، إلى غير ذلك من المُثُل والقيم التي آمن بها الغرب وعمل على تجسيدها في أرض الواقع.[14] ودليلنا على ذلك، هو التحوّل الذي عرفه المجتمع الغربي، وصار المؤرّخون يتحدّثون عن المراحل الكبرى والمحطات الفاصلة في تاريخ الغرب الحديث والمعاصر؟ وأضحت عملية الربط بين الثورات الكبرى التي وقعت في الغرب وأثرها في إعادة تشكيله وبلورة تصوراته الأساسية في المعرفة والوجود والقيم أمرا محتوما؟ غير أننا نتساءل هنا: هل اكتفى الغرب بما جاءت به الثورات المعرفية والعلمية التي ظهرت فيه؛ سياسيّاً، ثقافيّاً، علميّاً، صناعيّاً، وإعلاميًّا؟ أم أنّ المنطق الذي حكمه هو تطوير ما لديه من علوم وصنائع وفنون وطرائق، والارتقاء بأدائه والرفع من مستواه في كل ما وصل إليه؟ وهو الذي اتخذ من مقولات النقد والمراجعة والتقويم دليلا لكل تطوير وتحسين. يدفعنا ذلك إلى البحث عن سر الآفاق التاريخية والتطلّعات الحضارية التي

[14] Randall, *The Making of the Modern Mind*, 11.

كان الغرب يعمل على بلوغها، وعن الكيفية التي تم بها ترسيخها في الفرد والمجتمع والدولة، ولعل ذلك يشكّل مفارقة كبرى يصعب حلّها، مفارقة القول بنهاية التاريخ في مقابل البحث عن عالم أفضل،[15] ونحن نعلم بأنّ كتابات ظهرت في الغرب تتحدّث عن نظريات نهاية التاريخ والإنسان الأخير ضمن المشروع الفكري الغربي، وفي نفس المجتمع، قرأنا لفلاسفة يتحدثون عن المستقبل الزاهر وعن العالم الأفضل، فإلى أي حد ساهمت هذه النظريات في رسم السياسات الكبرى للغرب؟ وما هي حدود العلاقة بينها وبين الذهنية الغربية؟ وكيف تطوّرت بنيته الذهنية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية في متتالية حياتية حضارية توسّعية أو استعمارية عدوانية في الغالب؟

ومن جهة أخرى، يمكننا الحديث عن مسار الغرب على خط الزمن بالإشارة إلى العلاقة بينه وبين الدين بصفة عامة، وبالأحرى الديانة المسيحية واليهودية، وطوائفهما المختلفة ومذاهبهما المتعدّدة وبمنطق الإصلاح الديني وأثره على الحياة الفكرية والمؤسّسية؟ بل لماذا لم يستمر حضور الدين بشكل مباشر في حياة الأفراد والجماعات والمؤسّسات؟ ولماذا يتم التركيز على الأهمية العامة للدين؟[16] هل يشهد

[15] Popper, Karl, *In Search of a Better World: Lectures and Essays from Thirty Years* (London: Routledge, 1991).

[16] Habermas, Jürgen et al., *The Power of Religion in The Public Sphere*, ed. Eduardo Mendieta, and Jonathan VanAntwerpen, trans. Falah Rahim (Beirut, Lebanon: Dar al-Tanweer, 2013), 11. See also, Spinoza, Baruch, *A Short Treatise on God, Man, and His Well-Being* (London: Adam & Charles Black, 1910), 15; Derrida, Jacques, and Vattimo, Gianni, *Religion* (Cambridge: Polity, 1998).

الغرب مراجعة لموقفه التاريخي والمعرفي من الدين بعدما اعتبره مظهرا من مظاهر الهرب من مواجهة حقائق الاستغلال الاقتصادي وفق المقاربة الماركسية مثلا؟ وإلى أي مدى ساهم الدين في تطور الغرب وفي تحديد مساره ووجهته نحو العلمنة والمادية والحداثة، وانتهى به الأمر إلى ما بعد الحداثة وما بعد العلمانية وما بعد السرديات وما بعد الإنسان الأخير؟ بمعنى آخر؛ هل تحرر الغرب نهائيا من الدين كما يعبر عن ذلك العلمانيون أم ظل محتفظا به خاضعا لتوجيهاته ومدافعا عن نصوصه؟ فلا يمكنك مثلا الطعن في النصوص المقدسة اليهودية والمسيحية بأي شكل من الأشكال، رغم ما يبدو ظاهرياً أنه مجتمع علموي علماني بحت. والدليل على ذلك هو ما تعبَّر عنه بعض البحوث الغربية المعاصرة تحت مسمّى عودة المقدس إلى الخطاب الفلسفي والثقافي الغربي، بل أن بعضهم لا يقبل أبدا المساس بالديانة المسيحية ولا اليهودية، مع سماحهم للطعن في الإسلام ونصوصه من قرآن وسنة، أو في شخص النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، وصحابته الكرام، ما يبرز ازدواجية في الموقف من الدين، وحضارته، وثقافاته، وتاريخه.

2. الغرب بوصفه منظومة معرفية وثقافية

قام الغرب على نظرية في الثقافة، بنت شخصية الإنسان الغربي ومجتمعه وحدّدت ملامحه وسلوكياته، وصهرت المجتمع الغربي في منظومة ثقافية غربية في أصلها، مادية في طبيعتها، متغيّرة ومتطورة في

مســـارها، متنوّعة ومتعدّدة في عناصـــرها ومكوناتها، حالمة في أفقها، ومتطلعة لأحســـن ما هي فيه، فما ســـرّ قوة وتنوّع الثقافة الغربية؟ وما هي طبيعة تركيبتها التي جعلت منها صـــانعة للحضـــارة؟ وما مصـــدر النظرية الثقافية المشكّلة للغرب؟ وكيف استطاعت هذه الثقافة أن تبني مجتمعا متقدماً ومتطورا بالمقارنة مع بقية الثقافات والحضـــارات والأمم الأخرى؟ بل وكيف تحوّلت ثقافة المجتمع الغربي من نظرية في المعرفة والســـلوك إلى مجرد رؤية إيديولوجية مغلقة، بل ومحدودة في أفقها مفلسفة في بعض قيمها؟ انحازت إلى تجسيد نزعة الاستعلاء والشعور بالتفوّق لدى الإنســـان الغربي، تنظر إلى الآخر نظرة دونية، عدائية، ريبية، النظرة التي تَحوَّل فيها العلم من أداة معرفية إلى أداة إيديولوجية عقائدية، ابتعد فيها عن أهدافه، وفقد فيها رشـده وصـوابه، خلا فيها العلم من طبيعته وخصائصه ووظيفته في المجتمع والحياة.[17] وهذا التحوّل في وظيفة العلم وخصـــائصـــه عبّر عن عمق وتجذر أزمة الفكر الغربي، الذي صـار يحاول الهروب إلى الأمام، بعدما أدرك بقوة فشـل حاضـره ووقف على علامات إفلاسه.[18]

في العصـــر الحديث تأثّرت الثّقافة الغربيّة بشـــكل كبير بتقاليد الثقافة المسيحيّة وعصر النهضة والتنوير وأشكالها التوسّعيّة الاستعماريّة

[17] Freund, Julien, *La Sociologie de Max Weber*, trans. Taysir Sheikh al-Ard (Damascus: Ministry of Culture and National Guidance Publications, 1967), 112.

[18] Koch, Adrienne, *Philosophy for a Time of Crisis: An Interpretation, With Key Writings by Fifteen Great Modern Thinkers* (New York: Dutton, 1959).

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. فقد ظل تأثير الشرق لغزا محيراً لكثير من المفكّرين والباحثين في تاريخ الأفكار وتطوّرها في النسق المعرفي الغربي. وخير دليل على ذلك ما قاله المبروك المنصوري: "وسيتبيّن لنا أنّ الدراسات المتقدّمة في تاريخ الأفكار قد بينت أنّ الفكر الشرقي الفلسفي والديني في الصين والهند والبابان كان المنهل الأساسي لكثير من المقولات والمفاهيم الفلسفية الغربية الحداثوية، وما بعد الحداثوية حتى عند أكبر الفلاسفة الغربيين كنيتشه وفتقنشتاين ومارتن هايديقر مثلا".[19] غير أنّ الغرب ظل يخفي مثل هذه الحقائق التي تكشف مساهمة الثقافات الشرقية في تطوّر الغرب، ومنها طبعا الحضارة العربية الإسلامية، التي كان لها بالغ الأثر في النهضة الغربية في تشكّلاتها الأولى في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، لأنّ الدارس الحصيف لتاريخ الغرب وثقافته وعلومه وأفكاره "يدرك أنّ الحداثة الغربية في حد ذاتها هي جماع رؤى دينية وفلسفية شرقية وشرق–أوسطية كثيرة قامت على التمازج والتفاعل، وأنها قد استقت كثيرا من مفاهيمها التي صنعت منعرجات حاسمة في الفكر البشري المعاصر من البوذية والكونفوشيوسية والطاوية والزينية وغيرها."[20]

أما في السياق السياسي والحضاري، فقد استخدم مصطلح الغرب أو العالم الغربي من طرف الاتحاد السوفياتي وحلفائه خلال

[19] Al-Mansouri, al-Mabrouk, *Makanat al-Din fi al-Nahdah al-Yabaniyah wa al-'Arabiyyah* (Tunis: al-Dar al-Mutawassita Publishing, 2012), 11.
[20] Al-Mansouri, *Makanat al-Din*, 11.

الحرب الباردة ضد أعدائهم من منتصف القرن العشرين حتى وقت متأخّر من القرن العشرين، أو على الأقل يطلق الغرب في مقابل نظيره الشرقي ومنه الاتحاد السوفياتي، يقول فيرغسون: "هل أميركا الجنوبية، التي استعمرها الأوروبيون مثل ما استعمروا أميركا الشمالية، والتي تقع في نصف الكرة الجنوبي، هي جزء من الغرب؟ وما ذا نقول عن روسيا؟ هل الجزء الأوروبي من روسيا هو غربي حقا، في حين أن روسيا ما وراء الأورال هي جزء من الشرق بمعنى ما؟ كان يشار في خلال الحرب الباردة إلى الاتحاد السوفياتي والدول الدائرة في فلكه على أنهما" الكتلة الشرقية"[21] ولا يزال هذا الاستخدام قائما في ظل استمرار الصراع والاستقطاب القائم بين المعسكرين الشرقي والغربي. وفي نفس الإطار يمكن أن نُدخل الاستخدام الإسلامي لمصطلح الغرب وحضارته في مقابل العالم الإسلامي ذي المرجعية الدينية الإسلامية والسمات الثقافية والحضاريّة المعبّرة عن جوهر الحضارة الإسلامية وعلومها الدينية والعقلية والكونية وفنونها وآدابها وتراثها المتميّز في التاريخ.[22] كما يشير مصطلح العالم الغربي في السياق السياسي والثقافي المعاصر بشكل عام إلى دور الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا ونيوزيلندا وأوروبا الوسطى ويضم

[21] Ferguson, Niall, *Civilization: The West and the Rest* (New York: Penguin Press, 2011), 53.

[22] See: Al-Faruqi, Ismail Raji, and al-Faruqi, Lois Lamya, *The Cultural Atlas of Islam* (New York" Macmillan Publishing Company, IIIT, 1986).

أحيانا في بعض التعريفات أميركا اللاتينية والبلقان، وفي بعض الأحيان يضم التعريف كل من تركيا وأرمينيا وجورجيا وجنوب إفريقيا والفلبين. وبهذا التحديد يكون العامل الثقافي هو الأكثر حضورا في تحديد مفهوم الغرب، وليس العامل الجغرافي "وهو ما ترسمه الخطوط الجغرافية والخرائط العالمية لما يقع في جهة الغرب من آسيا وأفريقيا لتشمل بلدان أوروبا وأمريكا وكندا. هذه الحدود الجغرافية قد شكّلت اليوم تحالفات سياسية كالحلف الأطلسي لتتخذ جبهة موحدة أمام الشرق الجغرافي والسياسي."[23]

يُنظر إلى الغرب بوصفه نسقا معرفيا يحدّد رؤيته للعالم والإنسان والله والحياة، ويقوم نسقه على مكوّنات كبرى وافتراضات معرفية ووجودية وقيمية، انطلق منها في بناء حضارته، وسمت نظام المعرفي بجملة من الخصائص، انصهرت عناصره في نسق منسجم ومتوافق طيلة هذه الفترة من الزمن، ولعل سؤاله المركزي هو كيف نعرف؟ وبأي منهج أو طريقة نعرف العالم من حولنا؟ وما هي المقاصد الكبرى للمعرفة؟ وما وجه العلاقة بين المعرفة الإنسانية والمعرفة الدينية التي جاءت في الكتب المقدسة؟ وكيف تطوّرت نظرية المعرفة في تاريخ الغرب، بدءا من الإغريق وصولا إلى العصر الحديث مع ديكارت وفرانسيس بيكون؟ وانتهاء بالإبستميولوجيا المعاصرة؟ كيف تجاوز الغرب بنسقه المعرفي الرؤية الدينية للعالم والحياة؟ ماهي النتائج التي

[23] Al-Milani, *Muqaddimat Ta'sisiyyah*, 15.

وصل إليها جراء تحرّره من الرؤية الدينية اليهودية والمسيحية؟ وإلى أي حد استطاع العقل الغربي الإجابة عن التساؤلات الكبرى التي ظلت تراود وعي الإنسان الغربي وتحيّره؟ لماذا انحاز الغرب للقيم المادية وانتصر للعقلانية والتجريبية في مقابل الرومانسية والروحانية؟ وما موقع الرومانسية من نسق المعرفة في الغرب؟ فقد تبين للدارسين لتاريخ الأفكار والمناهج في الغرب أنّ فلسفة الروح وقيم الرومانسية ظلّت على هامش نسق المعرفة ولم ترق إلى صلب اهتمامات الوعي الغربي في بناء رؤيته للعالم والحياة؟

وتجدر الإشارة إلى أنّ النظام المعرفي الغربي على مكوّنين رئيسيين في بناء نظريته في المعرفة، وعلى ثنائية العلاقة بين الإنسان والكون من جهة، وعلاقة الإنسان بالإنسان من جهة أخرى، تدور معظم إشكالياته ومباحثه وأفكاره حول هذه الثنائية، وهو في حقيقته، مبني على رؤية معرفية تحدّد مفهوم الإنسان لذاته، ولمحيطه الطبيعي الذي يعيش فيه، وللحياة التي يحياها، وللعالم بصفة عامة، انحصرت في النهاية مكوّنات هذا النظام المعرفي في الآتي: الإنسان–الكون–الحياة[24]. ثم إن افتراضاته المعرفيّة والمنهجيّة والوجوديّة زعم فيها أنه يقدّم رؤية شاملة للعالم، ويجيب فيها عن الأسئلة الكبرى والنهائيّة، صبغته في النهاية بصبغة علمانيّة مادية، ظاهرة حينا، وكامنة حينا آخر كما يقول عبد الوهاب المسيري(ت2007) تنكر الدين والغيب

[24] Bouchair, Abdel Aziz, *al-Nizam al-Ma'rifi fi al-Fikr al-Islami wa al-Gharbi* (Beirut: Muntada al-Ma'arif, 2014), 313.

وتؤمن فقط بما هو طبيعي مادي، كان من نتائجها أنها شكّلت للغرب في النهاية هويّة اجتماعية وحضارية مميّزة له عن غيره من الأنظمة المعرفية الأخرى، كالنظام المعرفي الإسلامي مثلاً، القائم على قيم التوحيد والتزكية والعمران، بوصفه قِيَمًا ومقاصد عليا للإسلام.[25] بالإضافة إلى قيامه على الوحي قرآنا وسنة، وانعكاسهما على نظرية المسلمين في الوجود والمعرفة والقيم، وهذا يشكل "نقطة ارتكاز مهمة لفهم التنافر والتمايز بين الأسس النّظرية والفلسفية للنظرية السياسية والأطر الثقافية الإسلامية من ناحية، ومثيلاتها الغربية من ناحية أخرى، إذ أنّ الفارق الأساسي بين النظرة الإسلامية إلى العالم والنظرة الغربية يكمن في التناقض بين "نظرية المعرفة الإسلامية المحددة وجوديا" و"الوجود، المحدّد بنظرية المعرفة" في التراث الفلسفي الغربي."[26] وقد أوجد هذا الاختلاف بين الابستيمولوجيتين إشكاليات الفهم والتحليل والنموذج المعرفي عند الطرفين، وفتح أفقا جديدا لدراسة ممكنة لموضوع الاستغراب استنادا إلى هذين النظامين المعرفيين. ولهذا، يلخّص الدارسون للغرب ونظامه المعرفي هذه الهوية في

[25] Malkawi, Fathi Hasan, *Manzumat al-Qiyam al-'Ulya: al-Tawhid wa al-Tazkiyah wa al-'Umran* (Herndon-Virginia, Washington: ITTT, 2013/1434 AH).

[26] Davutoglu, Ahmed, *The Impacts of Alternative Weltanschauungs on Political Theories*, trans. Ibrahim al-Bayoumi Ghanem under the Arabic title *al-Falsafah al-Siyasiyyah* (Cairo: Maktabat al-Shuruq al-Dawliyyah, 1427H/2006), 15.

النقاط الآتية: رؤية خاصة للعالم، منظومة المعتقدات، وهويّة اجتماعيّة مشتركة.[27]

3. الغرب بوصفه منظوراً قيمياً (الغرب ومنظومة القيم)

إنّ ما يسوّغ النظر في موضوع القيم في الغرب بوصفه نسقا خاصا به قام عليه المجتمع الغربي، وانصهر فيه بشكل تفاعلي وتواصلي، كون القيم ظلت موجودة دائما في بنية الوعي الغربي وجزءاً من نسقه المعرفي والثقافي والسلوكي بشكل يتميز عن باقي الأنساق الثقافية والحضارية، بل "يمكننا القول إنه في تاريخ الإنسانية، ومن دون أي شك، لم يكن هناك من القيم بالقدر الذي نشهده اليوم(...) بل قد يصح القول إنّ هناك قيماً في الوقت الحاضر أكثر مما يتوجب."[28] فلا يمكن فهم طبيعة الغرب وتطوره من دون استحضار موضوع القيم، بما تقدّمه من إمكانيات التحوّل والتبدّل الذي يشهده الغرب، رغم الاهتزاز السلوكي الذي صار يعيشه الإنسان الغربي، والذي يحتّم على النخب إعادة النظر في رؤيته الفلسفية للعالم والإنسان والحياة، يسمح لها بإعادة النظر بكل القيم، والخطأ الذي ارتكبته العالمية والنسبية لا يكمن في تجاهل مقولة أنّ القيم تتطوّر فحسب، بل قد تستبدل بقيم

[27] Malkawi, Fathi Hasan, "Tabi'at al-Nizam al-Ma'rifi wa Ahamiyyatuh", in *Nahwa Nizam Ma'rifi Islami*, ed. Fathi Hasan Malkawi (Virginia, Washington: ITTT, 2000), 32-33.

[28] Binde, Jerome, ed., *Où Vont les Valeurs?* Trans. Zahida Darwish Jabbour, and Jean Jabbour (Carthage: Tunisian Academy of Sciences, Arts, and Letters, Beit al-Hikma, UNESCO Publications, 2005), 11-12.

أخرى.[29] ما يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة منظومة القيم الغربية المصاحبة لتشكّله والملازمة لمساره التطوري في التاريخين الحديث والمعاصر؟ ما هي الخلفية الفلسفية والدينية لبناء نظرية القيم في الغرب؟ ما طبيعة القيم الغربية؟ لماذا تمحورت قيم الغرب على المادة، والمنفعة، والسلعة، والاستهلاك؟ لماذا وكيف يعيش الغرب أزمة قيمية؟ ما هي آفاق تجاوز الغرب لأزمته القيمية؟ يصف "ألفين توفلر"(ت2016) هذه الأزمة بقوله: "لقد عاش المجتمع الغربي خلال القرون الثلاثة الأولى الماضية وسط عاصفة نارية من التغيير، هذه العاصفة بدلاً من أن تهدأ، تلوح وكأنّها تجمع قواها لهبّة أشدّ عنفوانًا، أن موجات التغيير تجتاح المجتمعات المتقدّمة صناعيّا بعنف متفاقم وسرعة مزايدة(...)إنها أيضا تستولد شخصيات شاذّة: أطفالاً في الثانية عشرة لا يبدون كأطفال، ورجالاً في الخمسين يبدون كأطفال في الثانية عشرة (...)هناك كهنة متزوّجون، وقساوسة ملحدون، ويهود بوذيون(...)والمنبّهات والمهدّئات، والغضب والوفرة، والنّسيان."[30]

لقد شكّل التغيّر الذي يعيشه المجتمع الغربي صدمة للفرد في نفسه ومجتمعه، فصار يخاف من ذاته ويخاف من صدمة المستقبل، نتيجة ما يعتري المجتمع من تغيير متسارع.[31]فأين تقع القيم الروحيّة

[29] Binde, Jerome, ed., *Où Vont les Valeurs?* 12.
[30] Toffler, Alvin, *Future Shock* (New York: Bantam Books, 1970), 9-10.
[31] Toffler, *Future Shock*, 11.

والدينية في منظومة القيم الغربية؟ وما طبيعة فلسفة القيم في المجتمع الغربي؟ هل حقّق الإنسان الغربي مستوى كافياً أو عالياّ من السعادة التي كان ينشدها منذ عصر التنوير؟ في ظل هيمنة قيم الصورة والاعلام والاتصال في زمن العولمة ومبادئها وقيمها، ألم تفقد العولمة هوية الإنسان الحقيقيّة؟ ألم تلبسه لَبوس المادة، والمتعة، واللحظة، والفردانية؟[32]كيف نفسّر ظواهر الانحلال والتفسّخ في القيم الفردية والجماعية للمجتمع الغربي المعاصر؟ وما أبعاد ذلك على شخصية الإنسان الغربي نفسيّا، وذهنيّا، وسلوكيّا، واجتماعيّا؟ ما تفسير ارتفاع معدلات الأمراض الذهنية والعصبية من جهة؟ وكيف نفهم كثرة العيادات النفسية في المجتمعات الغربية؟ بل لماذا تطور علم النفس المرضي؟ وما موقع علم الأمراض العقلية من بنية الوعي الغربي؟ كيف يمكن للغرب تجاوز حالات الانتحار والاكتئاب والانسحاب الفردي من المجتمع؟ والنتيجة إلى ما انتهى إليه نيال فيرغسون بقوله: "نستنتج من كل ذلك أن تعبير" الغرب" هو أكثر بكثير من تعبير جغرافي. إنه مجموعة من المعايير، والسلوكيات، والمؤسّسات وهو يمتلك مع ذلك حدودا ليس واضحة عند أطرافه"[33] ونعني بذلك، دعوة الكثير إلى تبني قيم نسق وثقافة الحضارة الغربية، ويندرج ذلك تحت مسمّى التغريب، ذلك أن الغرب له تأثير كبير على بعض النخب والمؤسّسات

[32] Lipovetsky, Gilles, *L'ère du vide: Essais sur l'individualisme contemporain*, trans. Hafez Edokharaz (Beirut: Markaz Nama li al-Buhuth wa Dirasat, 2018).

[33] Ferguson, *Civilization: The West and the Rest*, 55-56.

والأفراد في العالم الشرقي بصفة عامة، العالم الإسلامي بصفة أخص، وقد ساعد على ذلك ما بلغته علوم الإعلام والاتصال وما وفرته للعالم من قيم وأفكار وأنماط التفكير والسلوك، تجلّت في تمثل الكثير لنمط العيش على طريقة الغرب وحضارته وثقافته وقيمه.

4. الغرب بوصفه بناءً حضارياً ومنجزاً مادياً

يتساءل الدارسون بشكل دائم كيف بنى الغرب حضارته؟ أو بتعبير آخر كيف تمت عملية البناء الحضاري للغرب وفي الغرب؟ وما هي السياقات التاريخية والدينية لتشكّل حضارة الغرب الحديث والمعاصر؟ ما هي نظرية العمل-بتعبير السوسيولوجيين المعاصرين-في الغرب التي اعتمدها في عمليات البناء الحضاري؟ وما هي فلسفته في التاريخ وقصته في الحضارة؟ ما مفهوم الحضارة لدى الإنسان الغربي؟ وما الفرق بينها وبين المدنية؟ ما موقع الإنسان من بناء الحضارة الغربية؟ ما مدى ارتباط تشكّل وتطوّر الغرب بالحضارة الإغريقية والرومانية القديمة؟ ما مفهوم الغرب للعمران وطبائع أفراده وسنن مجتمعه؟ وما طبيعة هذا العمران؟ كيف ساهم التراث الإغريقي الفلسفي والعلمي والأسطوري في بناء حضارة الغرب وثقافته؟ ما طبيعة علاقة الغرب بالحضارات والثقافات الأخرى؟ بمعنى؛ كيف وظّف الغرب مقولاته التحليلية ومنطقه العلماني في دراسة الحضارات غير الغربية وثقافاتها وأديانها؟ ما هي شروط نهضته الحضارية؟ ما هي القيم المشكِّلة للمعادلة الحضارية الغربية؟ وما طبيعة وحقيقة النظام المعرفي للغرب

وحضارته؟ بل كيف اعتُبِرت الحضارة الغربية نسقاً معرفياً وحضارياً متميزاً عن الأنساق المعرفية الأخرى؟ هل اكتمل البنيان الحضاري الذي بدأه الغربيون في التاريخ الحديث والمعاصر؟ ما هو المحرّك الأساسي لحضارة الغرب؟

أسئلة كبرى تطرح في هذا الموضوع، تنطلق من الفرضية التي ترى بأنّ الحضارة الغربية بُنيت بناء منهجيا، معرفيا، مؤسّساتيّا، وعملياتيا بالدرجة الأولى، فقد أشار فلاسفة الحضارة الغربية إلى أهمية العامل الثقافي في عمليّة بناء الفرد والمجتمع، بحيث تركّزت جهود الغربيين على بناء الحضارة انطلاقا من بناء الإنسان بشكل أدق، أعني؛ بناء الوعي والثقافة، ونمط التفكير وطريقة تعقل الإنسان الغربي للعالم، وطبيعة نظرته لما حوله من عالم الأفكار والأشخاص والأشياء، كان من نتائج ذلك، إصلاح المجتمع الغربي لأنظمته التعليميّة، وغيّر وطوّر بنيته الفكريّة، وصقل ملكاته الذهنية، وشحذ نفسيات الأفراد ورفع هممهم الفرد، ووضع آمالا وتطلّعات، ونظّر لحركة المجتمع الغربي في التاريخ الحديث وصاغها في ما يسمى في علم الاجتماع المعاصر بالنظرية الاجتماعية، بعدما حرّر ذاته من كل نزعة دينية ولاهوتية، واعتمد المقاربة العلمانية والقيم الحداثية للحياة والعالم، وهي المقاربة التي ارتكزت في جزء منها على نظرية الداروينية الاجتماعية، وما لها من تأثير على العلوم الإنسانية والاجتماعية، أفرزت في النهاية تحوّلا حضارياً كبيرا في الغرب، تجلّت معالمه في تشكيل موقف أكثر حدّية

من الدّين وعلومه، وأعاد الإنسان الغربي طرح سؤال الهوية والقيم، في أفق الرؤية المادية والنزعة الوضعية تمخضت عن الفلسفات الوضعية في منتصف القرن التاسع عشر. وقد أثّرت هذه الفلسفات والعلوم على المسار العام للحضارة الغربية، وأصبح الإنسان الغربي مؤمنّا أكثر من ذي قبل بتداخل العلوم الثقافية والاجتماعية والدراسات الحضارية بالعلوم الطبيعية والكونية، وشرع العقل الغربي في إعادة النظر في المقولات الكبرى للحضارة والثقافة والعمران، وانخرط في تشكل خطاب فلسفي جديد، عمل فيه على التأصيل والتأسيس الفلسفي للبعد الوجودي والقيمي والنقدي للظواهر الاجتماعية والحياتية ضمن منطق جديد، بعيدا عن روح ومضمون ومقولات المنطق الأرسطي، مستندا في تحديد بعض مباحثه على الفكر الديني الشرقي القديم وفلسفاته.[34]

كما يعتبر الكثير من الدارسين أنّ قوّة الغرب تكمن فيما ما أنجزه على المستوى المادي، وفي الخدمات التي قدّمها للبشرية، من صنائع ومنتجات وتلبية لاحتياجات الإنسان المعاصر، من خلال الاستفادة من نتائج الثورة الصناعية في أوروبا قبل أن تنتقل إلى أمريكا، وقد اعتمد هذا المفهوم للغرب كمحدد للتقسيم بين المجتمعات الرأسمالية بما حققته ووفرته للإنسان والمجتمع، وبين المجتمعات الاشتراكية التي ظلت تقبع في التخلف والعجز عن تلبية

[34] Al-Mansouri, *Makaanat al-Din*, 15-16.

متطلبات حياة الأفراد والشعوب، كما يدل على أن تقسيم المجتمعات الصناعية العلمانية مثل (الاستنارة والعقلانية المادية) إلى مجتمعات رأسمالية وأخرى اشتراكية لا يفيد كثيراً في محاولة تفسير وتصنيف هذه المجتمعات"،[35] فيعرف الغرب بمنتجاته وبمنجزه المادي بالأساس، وما يملكه من قوّة في المعرفة أولا، وفي الاقتصاد ثانيا، والصناعات ثالثا، وفي نُظمه رابعاً، رغم اختلافنا مع طبيعة هذا المنجز وقيمته، وإيماننا بمحدوديته، وتنبيهنا إلى انعكاساته على حياة الأفراد والمجتمعات والعالم، فما أنجزه العقل الغربي على المستوى الصناعي والتكنولوجي غيّر حياة الناس، وقلب طبيعة العمران البشري والمادي؟ شكّل نمطا جديدا من المدن الذكية والتجمّعات السكانية والصناعية رغم تأثيراتها السلبية–بنظر البعض–على البيئة، وعلى حقيقة الإنسان الروحية، التي فقد فيها الإنسان والمجتمع كل ما هو روحي وإنساني، وجُعل من الإنسان المعاصر مستهلكاً لمنتجات الحضارة من دون رشد أو وعي بمآلاتها ومصيرها في الواقع، الأمر الذي أدى بالبعض إلى التساؤل عن قيمة ما أنجزه الغرب وما قدّمته حضارته، وما مدى قدرة ذلك على تحقيق إنسانية الإنسان؟ وترشيد المجتمع وأخلقة الحضارة؟ ولماذا يعتمد الغرب النظام الاقتصادي الرأسمالي بما هو رؤية للعالم والإنسان والقيم والحياة؟ وكيف نفصل بين الرأسمالية والليبرالية؟ وهل يمكن الفصل بين

[35] ʻAbd al-Wahhab al-Misiri, *al-ʻAlmaniyyah al-Juz'iyah wa al-ʻAlmaniyyah al-Shamilah* (Cairo: Dar al-Shuruq, 2002), 1: 30-31.

قيم الرأسمالية وقيم الإمبريالية؟ وهل الإمبريالية ضـرورية حقا كما يقول هاري ماجدوف؟[36] وما هي آفاق الاقتصـاد الغربي في ظل قيم العولمة واتجاهاتها وأزماتها وتحدياتها؟

5. الغرب بوصفه خصائص حضارية:(الغرب وخصائصه)

إنّ فهم الغرب في حقيقته وعمقه يفرض علينا دراسـة ومعرفة ما يمتاز به من الخصـائص التي تميّز نسـقه الثقافي والحضـاري عن غيره من أنسـاق الحضـارات والأمم الأخرى، ولعلّنا نذكر بعضـا منها على الإجمال دون تفصـيل: الخصـائص المعرفية المتعلقة بفلسـفته في المعرفة ونظريته في العلم ورثها عن الميراث الكلاسـيكي الإغريقي في بعديه الفلسـفي العقلاني، والقانوني الروماني بما احتواه من نظم وتشـريعات وقوانين، وأخرى ذهنية تتعلق بطبيعة المشـكلات التي يفكر فيها وفي المنطق الذي يعتمده في النّظر إلى الأشـياء والحكم عليها، وفي معايير الحقيقة وأشـكالها التي يؤمن بها أو يبحث عنها، وفي طرائق التفكير والتأمّل والتفكّر والتدبّر في مسـائل الإنسـان والطبيعة والحياة،[37] وهي الطرائق التي اعتمدت بعض النماذج المعرفية الإغريقية كنموذج أرسطو في نظرته الواقعية إلى المعرفة والعلم، أو نموذج بعض الفلاسـفة والعلماء المحدَثين في أوروبا كفلسفة فرانسيس بيكون والمنهج العلمي الذي قدمه

[36] Magdoff, Harry, *Imperialism, From the Colonial Age to the Present* (New York: Monthly Review Press, 1979), 237.

[37] Haber, Jonathan, *Critical Thinking: Illustrated Edition* (Cambridge, MA: The MIT Press, 2020).

للبشرية عامة وأوروبا خاصة، أو نموذج إسحاق نيوتن، الذي شكّلت نظرياته نموذجا للتفكير بشـأن الكون من حيث العمليات الميكانيكية التي يمكن شـرحها رياضـيا أو في غيره من النماذج التي عمل المجتمع الغربي على غرسـها في الأفراد ومكافأة أصـحابها حين يحقّقون النتائج أو يلمّون بالحقـائق، يحتفون بهم احتفـاءً "ثقـافيـاً ليس فقط بمـا يعرفـه الأفراد ولكن أيضا بما يمكنهم تحقيقه بتلك المعرفة عند التفكير بطريقة نقدية في مسألة أو قضية ما."[38] ولهذا نلحظ بوضوح تشجيع الغرب للتفكير بمختلف عملياته ونشـره لثقافة التفكير بصـفة عامة في الأفراد والمجتمع ومؤسّساته وجعله صفة راسخة في الفرد والمجتمع والدولة، بل يعتبره البعض شـرطا من شـروط النهضـة الأوروبية وصـفة جوهرية من صفات حضارة الغرب، إنها "صفة يمتد تاريخها إلى ألفي عام. فإذا كنا نبجّل العلماء نظير إنجازاتهم ومسـاهماتهم من أجل الإنسـانية، أفلا يمكن لنـا أيضـا الاحتفـاء بعمليـات التفكير التي أدّت إلى هـذه الإنجازات، وأن نوضّـح في الوقت ذاته كيف أنّ التفكير العلمي وغيره من أشـكال التفكير المنظّم قد يسـاعدنا في اتخاذ خيارات أذكى والإيمان أكبر من الأمور الصـحيحة مقارنة بما نؤمن به من الأمور الخاطئة؟"[39] ولا ننسـى أنظمة التربية والتعليم التي اعتمدها الغرب وغرسها في المجتمع، التي أرست معالم بناء الإنسان بوصفه عضوا فاعلا في المجتمع ومنخرطا في مؤسساته السياسية والاجتماعية والاقتصادية

[38] Haber, *Critical Thinking*, 180.
[39] Haber, *Critical Thinking*, 181.

والثقافية، بما تحمله المؤسسات من ثقافة التفكير وقيم التنوير والديمقراطية ومختلف النظم الاجتماعية.

ومن الخصائص أيضا، تشبّع الفرد والمجتمع الغربيين بالثقافة العلمية والأدبية التي أفرزها عصر النهضة، بما تضمنته نصوص الأدباء والفلاسفة والعلماء من قوانين وتقاليد بعضها محلّي أوروبي وبعضها الآخر ناتج عن تأثير الثقافات الأخرى خارج النسق الحضاري الغربي كالثقافات الشرقية ومنها تأثير الثقافة الإسلامية على جزء من ثقافة الغرب وحضارته.

بفضل هذه الخصائص "حقّق الغرب نجاحه إلى حد كبير جداً بسبب عدد من الأفكار والأفعال الأساسية التي استلهمها الغربيون– وأدخلوها في أنماط الفكر والسلوك المتأصلة عميقاً في اللاشعور في الغالب...ومن الطبيعي، أن بالإمكان القيام باختيارات أخرى لما يجعل الغرب مختلفاً ومهيمناً، والفحص المتبصّر للفكر الست يكشف كشفاً حسناً بما فيه الكفاية طبع الحضارة الغربية وخاصياتها، ويوّفر عدسة قويّة لفحص تاريخ الغرب، وقوّته ووحدته الجوهرية."[40] بالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى الخصائص النفسية المملوءة بالثقة بالنفس المفعمة بالحماسة والشغف بالحياة وملذاتها، والتفاؤل بالمستقبل والطموح إلى معالي الأمور، والتحدّي للصعاب والأزمات التي يواجهها، وقوة الإرادة والصمود لبناء الأوطان وتنميتها، والرغبة في

[40] Koch, Richard, and Smith, Chris, *Suicide of the West* (New York: Continuum, 2006), 2.

التغيير والانتقال بها من حال التخلّف والضعف إلى حال القوّة وانتصارها وازدهارها، والتطلّع إلى الجديد في جميع مناحي الحياة بعد تجاوز مرحلة العصور الوسطى المسيحية في أوروبا عبّر عنها ريتشارد تارناس بتحوّل حقبة القرون الوسطى والنّظرة الحديثة للعالم،[41] وبالإيمان الراسخ بالذات والإمكانيات العقلية، والتفاعل الإيجابي مع العالمين البشري والطبيعي، والشعور بالاعتزاز والفخر والاعتداد المبالغ بالذات. والخصائص السلوكية القائمة على منطق الفعل ونظرية العمل، التخطيط للحاضر والمستقبل، والإيمان بالمشاريع التطبيقية المرتبطة بشؤون الحياة والواقع، واعتماد أساليب معينة في تدبير شؤون الفرد والأسرة والمجتمع والاقتصاد والدولة، الخصائص القيمية وأنماط الفعل، الخصائص السياسية؛ والممارسة الديمقراطية وطبيعة نظمه، الخصائص الاجتماعية وبنية مجتمعه، الخصائص الاقتصادية وأشكال الإنتاج ونمط تسويقه. وهناك أيضا الخصائص الجيواستراتيجية التي ميّزت إنسان الغرب ومجتمعه وحرصه على كفاءة التخطيط وإتقان فنون التدبير واستشراف المستقبل والعمل الدائم من أجل مهارات التفكير والتعلم، وتوسيع خيال الفرد ليغيّر واقعه ويحرص على ضمان مستقبله، وقد تحولت هذه الخصائص إلى علوم وفنون قائمة بذاتها. يرى نيال فرغسون أنّ السنوات التي أعقبت العام 1683 عرفت تغييرات عميقة في طريقة وعي الغرب بالطبيعة والحكم. وأن المرء إذا أراد أن يفرّق

[41] Tarnas, *The Passion of the Western Mind*, 201 & 270.

الغرب عن الشرق وقف على حقيقة تفاوت درجات السعي وراء هذه المعرفة الواسعة وتطبيقها بصورة منهجية.[42] ثم إن النقطة الحاسمة بين الغرب وبقيّة أنحاء العالم هي الاختلاف المؤسّساتي. الذي مكّن الغرب من التفوق في مرحلة زمنية ما على الصين، ولو بشكل جزئي، خصوصا في المجالين السياسي والاقتصادي في الغرب، أما السبب الآخر الذي مكّن المستعمرات السابقة في شمال أمريكا من إحراز قدر من النجاح أكبر من ذلك الذي أحرزته المستعمرات السابقة في جنوب أمريكا، فهو أن المستوطنين الإنكليز أسّسوا نظاما لحقوق الملكية والتمثيل السّياسي في الشمال يختلف تماما عن ذلك الذي تأسّس في الجنوب.[43]

خاتمة:

انتهينا في هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1. نقصد بموضوع الغرب جميع ما تمت الإشارة إليه، أعني بذلك؛ الغرب الجغرافي والتاريخي والثّقافي، الغرب بوصفه ظاهرة مركبّة ذات أصول فكرية وسياقات تاريخية وحضارية، قامت على مصادر ومرجعيات فكرية، وخلفيات إيديولوجية، مرّت بمراحل ومحطات كبرى، وعرفت تحوّلات وتغيّرات نظرية وعملية، حملت للعالم رؤية معرفية للعالم بأبعادها الدينية والفكرية والفلسفية والعلمية والفنية،

[42] Ferguson, *Civilization: The West and the Rest*, 57.
[43] Ferguson, *Civilization: The West and the Rest*, 14.

وفرضـــت إلى حد كبير منطقها في التفكير والتدبير على البشـــرية قاطبة، من خلال نموذجها المعرفي كناظم موجه للغرب وللعالم، وممّيز له عن غيره من المنظومات الحضارية.

2. الغرب في النهاية، يعد منظومة متكاملة الجوانب متداخلة العناصر، متعـدّدة المكونات، متنوعـة الأبعـاد، قويـة الأثر والنفوذ، لا يمكن دراســة جانب واحد منه منفصــلا عن باقي الجوانب، والمكوّنات، والعناصر، والأبعاد.
3. يتأسّـس علم الاستغراب وفق الشـروط المعرفية والمنهجية كغيره من العلوم التي قامت على هذه الشـروط، من خلال اتباع نموذج معرفي معين ينتقل بهذا العلم من مرحلة التكديس والتجميع للدراســـات والأبحاث حول الغرب إلى مرحلة البناء المعرفي له، والانتقال به من مرحلة الأخذ من الغرب إلى مرحلة العطاء، وفق رؤية واضـــحة المعالم.
4. يعد تحديد موضوع علم الاستغراب متطلّباً منهجياً ومعرفياً لتأسيس هذا العلم وإنضـــاج مباحثه وقضـــاياه، لأنّ عدم التحديد يعدّ من العوائق الابستيمولوجية التي تعيق استكمال عملية التأسيس والبناء لهذا العلم.
5. معظم الكتابات والأبحاث التي قامت في علم الاســتغراب انخرطت مباشرة في مسائل العلم ومباحثه قبل إنضاج فكرته وتأسيس فلسفة واضـــحة حوله، لأنّ قيام علم ما يحتاج من الناحية المنهجية إلى

الفصل في ثلاث مسائل أساسية: الموضوع–المنهج–الهدف، ما جعل أغلب الكتابات في هذا العلم تفتقر إلى الناظم المعرفي والمنهجي الذي يحكم عملية التفكير والبحث فيه.

6. تختلف دراسة الغرب عن علم الاستغراب، أو بين موضوع العلم وفلسفة العلم. لأنّ البحث في الغرب أخذ حيزاً كبيراً من دائرة التفكير العربي الإسلامي منذ الحضارة الإسلامية إلى غاية عصرنا الراهن، لكن الغرب حضاريا عرف تطورا كبيرا، انتقل من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة والحضارة والنفوذ والهيمنة، في حين انتقل العالم الإسلامي من مرحلة الأوج والتألق والريادة الحضارية إلى مرحلة السقوط والانحطاط، ما يشير إلى عدم تكافؤ مستوبي: الدارس والمدروس.
7. عرف علم الاستغراب تطوراً في موضوعه وتعدّداً في مناهجه ونضجاً في بلورة بعض أهدافه، لأنه انتقل من البحث في تاريخ علم الاستغراب في تراثنا الإسلامي إلى البحث في واقع علم الاستغراب وحاضره ومستقبله.
8. ثمة عوائق ابستيمولوجية ذاتية وموضوعية تحول دون تحقيق علمية علم الاستغراب تتعلق أساسا بتحديد وضبط موضوع علم الاستغراب ومناهجه وأهدافه.

التوصيات:

1. ضرورة الاهتمام بالشروط المعرفية والمنهجية لتأسيس علم الاستغراب من حيث تحديد وضبط موضوعه ومجالات دراسته، والانتقال من مرحلة التراكم إلى مرحلة بناء العلم وفق الإطار الابستيمولوجي .
2. ضرورة الإفادة مما كتب في علم الاستغراب خصوصا في المرحلة الأخيرة بغرض جمع مسائله وتحديد مشكلاته ثم تبويب مباحثه وتصنيف وترتيب قضاياه وفق منهجية علمية منظّمة ودقيقة.
3. ضرورة الفصل بين دراسة الغرب وعلم الاستغراب، أو بين العلم وفلسفة العلم، والانتقال من البحث في الغرب إلى الكتابة في علم الاستغراب، وفق رؤية معرفية أصيلة ومناهج علمية منسجمة مع الرؤية ومحقّقة لمقاصدها.

References

ʻAbd al-Wahhab al-Misiri. *Al-ʻAlmaniyah al-Juzʼiyyah wa al-ʻAlmaniyah al-Shamilah*, vol. 1. Cairo: Dar al-Shuruq, 2002.

Abu Saʻud, ʻAttiyat. *Falsafat al-Tarikh ʻind Fiko*. United Kingdom: Muassasat Hinawi, 2021.

Al-Faruqi, Ismail Raji and al-Faruqi, Lois Lamya. *The Cultural Atlas of Islam*. New York: Macmillan Publishing Company / IIIT, 1986.

Al-Mansouri, al-Mabrouk. *Makanat al-Din fi al-Nahda al-Yabaniyah wa al-ʻArabiyyah*. Tunis: al-Dar al-Mutawassitah Publishing, 2012.

Al-Milani, Hashem, "Muqaddimat Taʼsisiyyah fi ʻIlm al-Istighrab." In *Nahn wa al-Gharb (1): Muqarabat fi al-Khitab al-Naqdi al-Islami*. Ed. Amer Abdel-Zeid al-Waeli, and Hashem al-Milani. Iraq: al-ʻAtabah al-ʻAbbasiyyah al-Muqaddasah, Center for Strategic Studies, 2017.

Al-Namla, ʻAli bin Ibrahim. *Ishkaliyyat al-Mustalah fi al-Fikr al-ʻArabi: Ittirab fi al-Naql al-Muʻasir lil-Mafahim*. Beirut: Bissan Publishing Media and Distribution, 2010.

Al-Waʻalan, ʻAbd al-Majid bin Muhammad, "al-Istighrab." In al-Maktabah al-Shamela.

Bechii, Mohamed Abdel-Halim. "Al-Juthur al-Tarikhiyyah li ʻIlm al-Istighrab fi al-Turath al-Islami," *Majallat Kulliyat al-Shariʻah wa al-Dirasat al-Islamiyyah* 37(2) (2020): 135-160.

Binde, Jerome, ed. *Où Vont les Valeurs?* Trans. Zahida Darwish Jabbour, and Jean Jabbour. Carthage: Tunisian Academy of Sciences, Arts, and Letters, Beit al-Hikma, UNESCO Publications, 2005.

Bouchair, Abdel Aziz. *Al-Nizam al-Maʻrifi fi al-Fikr al-Islami wal-Gharbi*. Beirut, Lebanon: Muntada al-Maʻarif, 2014.

Davutoglu, Ahmed. *The Impacts of Alternative Weltanschauungs on Political Theories*. Trans. Ibrahim al-Bayoumi Ghanem under the Arabic title *al-Falsafah al-Siyasiyyah*. Cairo: Maktabat al-Shuruq al-Dawliyah, 1427H/2006.

Ferguson, Niall. *Civilization: The West and the Rest*. New York: Penguin Press, 2011.

Freund, Julien. *La Sociologie de Max Webe*. Trans. Taysir Sheikh al-Ard. Damascus: Ministry of Culture and National Guidance Publications, 1967.

Group of Researchers. *Naqd al-Hadarah al-Gharbiyah*: (*Tarikh al-Ighriq Qabla al-Qarn al-Tasiʻ Q.M.*). Najaf, Iraq: Al-ʻAtabah al-ʻAbbasiyyah al-Muqaddasah, Center for Strategic Studies, 2021.

Haber, Jonathan. *Critical Thinking. Illustrated edition*. Cambridge, MA: The MIT Press, 2020.

Habermas, Jürgen et al.. *The Power of Religion in the Public Sphere*. Ed. Eduardo Mendieta, and Jonathan VanAntwerpen. Trans. Falah Rahim. Beirut: Dar al-Tanweer, 2013.

Hanafi, Hassan. *Tatwir al-Fikr al-Dini al-Gharbi fi al-Usul wa al-Tatbiqat*. Beirut: al-Hadi Publishing, 2004.

Hegel, Frederick. *Reason in History in Lectures on the Philosophy of World History*. Trans. Emam Abdel Fattah Emam. Beirut: Dar al-Tanweer, 2007.

Koch, Adrienne. *Philosophy for a Time of Crisis: An Interpretation, With Key Writings by Fifteen Great Modern Thinkers*. New York: Dutton, 1959.

Koch, Richard, and Smith, Chris, *Suicide of the West*. New York: Continuum, 2006.

Le Bon, Gustave. *La Philosophie de l'Histoire*. Paris: Les Éditions de France, 1931.

Lipovetsky, Gilles. *L'ère du vide: Essais sur l'individualisme contemporain*. Trans. Hafez Edokharaz. Beirut: Markaz Nama li al-Buhuth wa Dirasat, 2018.

Magdoff, Harry. *Imperialism, From the Colonial Age to the Present*. New York: Monthly Review Press, 1979.

Malkawi, Fathi Hasan. *Manzumat al-Qiyam al-'Ulya: al-Tawhid wa al-Tazkiyah wa al-'Umran*. Herndon, Virginia: ITTT, 2013/1434H.

Malkawi, Fathi Hasan. "Tabi'at al-Nizam al-Ma'rifi wa Ahamiyyatuh." In *Nahwa Nizam Ma'rifi Islami*. Ed. Fathi Hasan Malkawi. Virginia, Washington: ITTT, 2000.

Mercho, Grégoire Mansour. *Muqaddimat al-Istitba: Al-Sharq Mawjud bi Ghayrih La bi-Dhatih*. Virginia, Washington: al-Ma'had al-'Alami li al-Fikr al-Islami, 1996.

Nemo, Philippe. *Qu'est-ce que L'Occident?* Paris: Presses Universitaire de France, 2004.

Popper, Karl. *In Search of a Better World: Lectures and Essays from Thirty Years*. London: Routledge, 1991.

Randall, John Herman. *The Making of the Modern Mind: A Survey of the Intellectual Background of the Present Age*. USA: Columbia University Press, 1976.

Spinoza, Baruch. *A Short Treatise on God, Man, and His Well-Being*. London: Adam & Charles Black, 1910.

Derrida, Jacques, and Vattimo, Gianni. *Religion*. Cambridge: Polity Press, 1998.

Tarnas, Richard. *The Passion of the Western Mind: Understanding the Ideas that Have Shaped Our World View*. USA: Ballantine Books, 1991.

Toffler, Alvin. *Future Shock*. New York: Bantam Books, 1970.